الانتخابات التركية المقبلة والديناميات الجديدة في المنطقة

زيد عبد الوهاب الأعظمي

تستحوذ الانتخابات التركية المقبلة على اهتمام إقليمي ودولي كبيرين، إذ تراقب العديد من الدول والفواعل عن كثب المشهد السياسي في تركيا وتأثيره المحتمل على مجمل التفاعلات والقضايا الإقليمية والدولية، لاسيما تلك التي تنشط فيها تركيا وتؤثر في مساراتها المحتملة.

تستعد تركيا لأهم عملية انتخابية منذ تأسيس الجمهورية قبل مئة عام، سيصوت الشعب فيها على منصب رئيس الجمهورية وأعضاء البرلمان، في ظل تنافس انتخابي واستقطاب سياسي حادين على الصعيد الداخلي، وفي ظل تفاعلات وتحولات إقليمية كانت ومازالت تركيا جزءً فاعلاً ومؤثراً في صناعتها.

تنحصر المنافسة على منصب رئيس الجمهورية بين الرئيس رجب طيب أردوغان مرشح تحالف الجمهور، وكليجدار أوغلو مرشح تحالف الأمة. ورغم التنافسية الواضحة ما بين

المُرشَحَين إلا أن أغلب استطلاعات الرأي ترجح فوز الرئيس أردوغان بمنصب رئيس الجمهورية لما يمتلكه من كاريزما القائد السياسي وخبرة المنافسة الانتخابية وحزمة الانجازات في مشاريع استراتيجية، وفاعلية في الأزمات الدولية والسياسة الخارجية. شهدت تركيا تحولات كبرى أعادت تشكيل هوية نظامها السياسي، وانتقلت من النظام البرلماني إلى الرئاسي، مع تبني مفهوم جديد للأمن القومي يرتكز على تحويل تركيا إلى قوة عسكرية قائمة بحد ذاتها، وتوسيع دورها العسكري الخارجي، وتطوير مفهوم المجال الحيوي والعمق الإستراتيجي، واستعادة الروابط التاريخية مع العالم التركي في آسيا الوسطى وجنوب القوقاز.

تمتلك حكومة العدالة والتنمية رؤية واضحة وتوجهات عملية للسياسة الخارجية التركية، أثمرت عن حضور فاعل ونشاط ملفت في أغلب الأزمات الإقليمية والدولية، دوليا يمكن أخذ أزمة الحرب الأوكرانية-الروسية ودور تركيا في لعب دور الوسيط في عقد "اتفاقية الحبوب" لمنع أزمة غذاء عالمية. أما إقليميا فيمكن الإشارة إلى دور تركيا الاستراتيجي في حسم المعارك لصالح حليفتها أذربيجان لاسترجاع إقليم قره باغ، وغيرها من الملفات الحيوية في ليبيا وسورية وضمن دائرة حلف شمال الأطلسي الناتو. في الوقت الذي لم تستطع المعارضة إعلان توجّهاتها تجاه عديد القضايا في السياسة الخارجية.

تستحوذ الانتخابات التركية المقبلة على اهتمام إقليمي ودولي كبيرين، إذ تراقب العديد من الدول والفواعل عن كثب المشهد السياسي في تركيا وتأثيره المحتمل على مجمل التفاعلات والقضايا الإقليمية والدولية، لاسيما تلك التي تنشط فيها تركيا وتؤثر في مساراتها المحتملة. فأغلب الدراسات التي ترجح فوز الرئيس أردوغان بولاية جديدة، ترى أن السياسة الخارجية التركية ستكون أكثر فاعلية وانغماسا في ملفات المحيطين الإقليمي والدولي باستمرار الرئيس أردوغان على رأس السلطة.

ستفرض التطورات الإقليمية ومستجداتها على أنقرة وعلى الحكومة القادمة بعيد الانتخابات، أن تكون أكثر فاعلية في السياسة الخارجية، لاسيما بعد المصالحة التركية مع كلٍ من مصر والإمارات والسعودية وتطبيع العلاقات بينهما على أعلى المستويات، كما سيضع الاتفاق السعودي-الإيراني في حال نجاحه قواعد أمنية جديدة للمنطقة ستكون لها تداعيات على المجال الحيوي التركي في كلٍ من العراق وسوريا.

تمثل نهضة الصناعات الحربية والدفاعية التركية مؤشرا على انتهاج أنقرة دورا استراتيجيا أكثر فاعلية في مجالها الحيوي وفي مجال حلف الناتو وكذلك في دائرة حلفائها الدوليين، مع استمرار حكومة العدالة والتنمية في السلطة، كما أن دخولها في سوق السلاح بصناعات الطائرات الحربية والمسيرة وحاملة الطائرات الاستراتيجية سيعزز من ميزة الاستقلال في القرار الدفاعي والأمني الذاتي كما خططت في وقت سابق.

ستنمو العلاقات الاقتصادية التركية مع مجالها الحيوي العربي والإقليمي، حيث إن العديد من الدول العربية شركاء تجاريون رئيسيون مع تركيا، ومن أهداف حكومة العدالة والتنمية في حال استمرارها بالسلطة تفعيل سقف التجارة الخارجية إلى تريليون دولار، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بسياسة خارجية نشطة وعلاقات دولية فاعلة تحقق بيئة الوصول إلى السقف الطموح في التجارة الخارجية.

تشكّلت السياسة الخارجية لتركيا من خلال الديناميكيات الإقليمية، فقد شهدت العلاقات التركية مع بعض النظم السياسية الإقليمية توترات وتقاطعات في ملفات متعددة، بسبب مواقف تركيا من قضايا عادلة كثورات الشعوب الطامحة للحرية والعدالة ومن حصار قطر والقضية الفلسطينية وأمن شرق المتوسط والحدود واستقلاليتها الطاقوية والأمنية وغيرها، أما الآن وبعد تطبيع العلاقات الإقليمية وتجاوز وتسوية الملفات الخلافية واستئناف التبادل التجاري والتعامل الاقتصادي، بدت أن هناك مصلحة إقليمية في تركيا قوية مستقرة وفاعلة، نظرًا إلى موقعها الاستراتيجي بين أوروبا وآسيا ودورها التاريخي كقوة إقليمية، وقد يكون لأي تحولات كبيرة في سياسات تركيا الداخلية أو الخارجية عواقب على الأمن والاستقرار الإقليميَّين.

انشغلت السياسة الخارجية التركية خلال المرحلة الماضية بمحاربة الإرهاب وتأمين حدود تركيا مع ما يرتبط من ذلك بملفي سوريا والعراق، ومن المتوقع لها ان تبقى أولوية في أجندة السياسات الخارجية الجديدة. فبقاء حكومة العدالة والتنمية في سدة الحكم مجدداً يعني انّه لا تحوّلات جذرية ستجري في هذا الموضوع، بل على العكس، قد نشهد تسارعاً في هذا المسار على الأرجح. هناك نيّة للاستمرار في العملية العسكرية الموجهة ضد معاقل منظمة العمال الكردستاني في شمالي العراق، وكذلك الأمر فيما يتعلق بتواجد ميليشيات قسد، وبي واي دي، الكردية في شمالي سوريا.

يمكن أن تكون للانتخابات التركية تداعيات على علاقات تركيا مع الاتحاد الأوروبي، فمن المرجّح أيضًا أن يكون للانتخابات تداعيات كبيرة على سياسة تركيا الخارجية وعلاقاتها مع الدول المجاورة، حيث سيشكّل نهج الحكومة الجديدة تجاه الديناميكيات الإقليمية، بما في ذلك سوريا وروسيا والاتحاد الأوروبي والخليج، دور تركيا في القضايا الإقليمية ونهجها العام تجاه الأمن الإقليمي. وقد يكون التحدي الأكبر الذي ستواجه تركيا بعد الانتخابات يتمثل في كيفية مقاربة العلاقة بين روسيا والغرب. حيث أدت علاقة العمل الوثيقة التي أقامها الرئيس أردوغان مع نظيره الروسي إلى تعاون جيوسياسي بين البلدين، بينما تسبب في تراجع علاقات تركيا مع الغرب.

لا تكمن أهمية الحفاظ على الاستقرار السياسي في تجنب دخول البلاد في سيناريو فوضى سياسية سيكون لها عواقب طويلة الأمد على النظام السياسي والوضع الاقتصادي الذي يمر بتحولات كبيرة، بل أيضا في تجنب فراغ خطير في الدور الخارجي لتركيا. القوة في الداخل تولد قوة في الخارج. وإن انتخابات مصيرية من هذا النوع تأتي في لحظة تحولات عالمية كبيرة. ■

زيد عبدالوهاب الأعظمي: باحث من العراق، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية. خبير في مركز دراسات الشرق الأوسط أورسام.